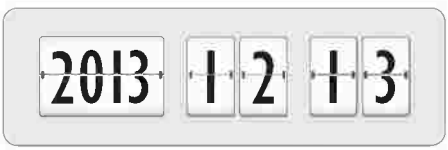

قالت هيلاري بحيوية: في الكلية الانتخابية، تكرر اسم كلنتون، كلنتون، كلنتون باستمرار! فاز بل بـ (362) صوتًا مقابل (168) لبوش، مع اثنتين وثلاثين ولاية في صف كلنتون. رغم النكسات كلها على الطريق كنا؛ نحن عائلة كلنتون، قد تفوقنا مرة أخرى.

أسهم توم بروكاو من قناة إن بي سي الإخبارية في ضبط إيقاع الرئاسة الكلنتونية، حين سألني عما نعتزم؛ بل وأنا، فعله في الصباح الأول الذي نستيقظ فيه في البيت الأبيض. أجبته: «سنغطي رأسينا بالبطانيات». يجب أن أكون قد عرفت شيئًا حتى عندئذ!

لاشيء سار على ما يرام، بنعومة مع عائلة كلنتون، بالتأكيد! فمنذ اللحظة التي انتخبنا فيها، وجدنا نفسينا غارقين إلى الركب في المشكلات؛ تمثلت الأولى بعجزنا عن التوافق على هوية مدير الفريق الانتقالي. بدا ميكي كانتور؛ وهو صديق عزيز لبل ورئيس حملته، الخيار المنطقي، عارضت لأني شعرت أنه يبالغ في التمدد، أصابتني نوبة وصرخت في وجه ميكي متهمة إياه بمحاولة جعل بل محدلة. مرهقًا منذ أيام الحملة الأخيرة، لم يقدم بل على شيء من شأنه إحباط رغباتي. عاد ميكي جوًّا إلى كاليفورنيا، خائبًا جارًا ذيل الخيبة.

ثم بادر بل إلى تعيين وارن كرستوفر؛ شخص لطيف مستعد للذهاب إلى أي مدى حفاظًا على الهدوء، غير أن الحفاظ على الهدوء لم يكن هو المطلوب. سلفًا كان لدينا شخص يتولى تلك المهمة: أعني بل كلنتون، وما كنا بحاجة إليه هو شخص صارم، عنيد لا يخاف اتخاذ القرارات. تأرجح الخيار بين زبون خشن قادر على إطلاق الإيعازات نباحًا مقابل نظام يستطيع فيه الجميع أن يدلوا بدلائهم. اتخذنا القرار الخطأ.

ونتيجة لذلك أطلق ستفن هيس من معهد بروكنغز على فريقنا الانتقالي صفة «الفريق الانتقالي الرئاسي الأسوأ في التاريخ الحديث». تمثلت المشكلة بسؤال: من الذي كان سيدير الرئاسة؟ بالطبع كان بل هو الذي جرى انتخابه، إلا أنه كان قد وعدني بأننا سنكون شريكين في الرئاسة – بموجب صفقة (اثنان بسعر واحد) القديمة.

هذا لم يرق لنائب الرئيس آل غور الذي كان بل قد وعده أيضًا بدور قيادي. وهكذا أصبح عندنا ثلاثة أشخاص متنافسون على المرجعية، ولا أحد مسؤول. سادت الفوضى، للأسف بدوت كما لو كنت مركز المشكلة كلها، لم أكن بصدد التنازل عن النفوذ الذي كنت قد وُعدت به. لبعض الوقت فكرت بتولي منصب رئاسة جهاز أركان العاملين، صديق بل القديم ومستشاره السياسي المرشح لمنصب مستشار الرئيس، ديك موريس، اعترض على الفكرة قائلًا إن رئيس الجهاز يضطلع بوظيفته مانعة الصواعق بالنسبة إلى قرارات الرئيس جميعها غير الشعبية، وبعد إعادة النظر في الأمر، قررت أن ذلك المنصب كان المنصب الذي لم أكن أريده بالمطلق!

ماذا عن تعييني نائبًا عامًا أو وزيرة للتعليم؟ سألت. ثانية اعترض موريس بحجة احتمال تفسير الأمر محاباة للأقارب بما لن ينعكس إيجابًا على رئاسة بل.

كيف حصل وشغل بوبي كندي بنجاح منصب نائب عام إدارة شقيقه؟ سألت. جوابه: الأوقات تغيرت.

اقترح بدلًا من ذلك أن أتولى مسؤولية قضية داخلية كبرى مثل الرعاية، تمامًا كما سبق لي أن توليت معالجة التعليم في آركنسو. تناغم اقتراحه من اهتمامي الرئيس بالأطفال والعائلة، وبدا مناسبًا. كنت سأضطلع بقيادة تغيير اجتماعي شبيه بالأمن الاجتماعي والرعاية الطبية – أمر كان من شأنه أن يحدث انقلابًا في الأمة.

غير أن مشكلة ما لبثت أن برزت مع آل غور؛ كان بل قد وعده بدور حاسم في الإدارة، كما بالتشاور معه بوصفه موضع الثقة الأول قبل اتخاذ أي قرار مهم، مشكلة واحدة كانت كامنة في هذا: ذلك المنصب كان مشغولًا سلفًا – من قبلي أنا. آل غور وأنا دخلنا في سجال وتنافس على النفوذ، سجال وتنافس داما طوال فترتي بل الرئاسيتين، وإن بطريقة لبقة ومهذبة على السطح.

طلبت بإلحاح أن يكون لي مكتب في الجناح الغربي، الزوج الأولى لرئيس جمهورية تشغل مكتبًا في مركز السلطة، إلا أن ذلك أزعج آل وشكل تطفلًا على فضائه. أي منا (كلينا) لم يكن مستعدًّا للاستسلام، جزئيًّا جراء الرمزية المترتبة على حصول أحدنا على مساحة أكبر ومكان أقرب إلى الرئيس، أردت أنا أن أكون في الجناح الغربي، فشغل مكتب بجانب القائد الأعلى للبلاد يوحي بأشياء كثيرة حول المكانة النسبية للنساء مقابل الرجال في الولايات المتحدة باعتقادي، وفي البيت الأبيض كنت أترجم الدراما الجارية على قدم وساق في مكاتب وبيوت أمريكا كلها، وآمل أن أشكل أنموذجًا في الأمكنة جميعها.

رغم أسبابي الممتازة لم يقتنع آل، وواصلنا التقاتل طوال مدة رئاسة بل، كان من شأن رئيس جهاز عاملين قوي أن يحل تلك المشكلة مرة للمرات كلها، غير أن عدم وجود مثل ذلك الرئيس القوي للجهاز لم يحقق أي حل لهذه وغيرها من المشكلات.